ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

متغيرات الدلالات اللفظية القرآنية في القراءات

Semantic Variations of Qur'anic Expressions in the Qira’at

إعداد الطالبة : عائشة نحاس

تخصص دراسات إسلامية في جامعة شرناق

omalfadlnahhas@gmail.com

تاريخ استلام البحث: 1 / 2 / 2026 تاريخ قبول البحث: 1 / 4 / 2026

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

ملخص الدراسة

يتناول هذا البحث دراســـة المتغير اللغوي في القراءات القرآنية وأثره في توجيه الدلالة القرآنية، وذلك من خلال الجمع بين التأصيل النظري والتحليل التطبيقي.

وينطلق البحث من بيان مفهوم المتغير اللغوي في الدراســـات اللســـانية، وعلاقته بالتغير الدلالي في النصوص اللغوية، مع محاولة توظيف هذا المفهوم في دراسة القراءات القرآنية بوصفها أحد أبرز مظاهر التنوع اللغوي في العربية.

كما يتناول البحث نشـأة علم القراءات وعلاقته بالتنوع اللهجي في العربية في عصـر نزول القرآن الكريم، مع بيان الضـــوابط العلمية التي وضـــعها العلماء لقبول القراءات وتمييز الصـــحيح منها من غيره، ومن أبرزها صحة السند وموافقة وجه من وجوه العربية وموافقة رسم المصحف العثماني.

وفي الجانب التطبيقي من الدراســـة يتم تحليل عدد من النماذج القرآنية من الســـور الممتدة من ســـورة الذاريات إلى سورة الحديد، بهدف الكشف عن طبيعة المتغيرات اللغوية التي تظهر في القراءات المختلفة، ســواء كانت متغيرات صــوتية أو صــرفية أو نحوية، وبيان أثر هذه المتغيرات في توجيه المعنى القرآني وإبراز أبعاده الدلالية.

وتخلص الدراســـة إلى أن اختلاف القراءات القرآنية لا يمثل تعارضًـــا في المعنى، بل يســـهم في توســـيع الدلالة وإبراز جوانب متعددة من المعنى القرآني، كما يكشف عن ثراء النظام اللغوي للنص القرآني وقدرته على استيعاب أكثر من وجه دلالي صحيح في إطار نص واحد.

الكلمات المفتاحية: المتغير اللغوي، القراءات القرآنية، التغير الدلالي، الدلالة القرآنية، علم القراءات.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

متغيرات الدلالات اللفظية القرآنية في القراءات

Abstract

This study examines linguistic variation in Qurʾānic readings and its impact on shaping Qurʾānic meaning. The research combines theoretical foundations with applied analysis. It begins by discussing the concept of linguistic variation in modern linguistic studies and its relationship to semantic change in texts, attempting to apply this concept to Qurʾānic readings as one of the most significant manifestations of linguistic diversity in Arabic.

The study also explores the emergence of the science of Qurʾānic readings and its relation to dialectal diversity in Arabic during the period of revelation. It further highlights the scholarly criteria established by classical scholars for the acceptance of readings, most notably the authenticity of transmission, conformity with recognized Arabic linguistic usage, and agreement with the Uthmanic script of the Qurʾān.

In the applied section, the study analyzes selected Qurʾānic examples from the chapters ranging from Sūrat al-Dhāriyāt to Sūrat al-Ḥadīd. The aim is to identify the types of linguistic variations present in the readings—whether phonological, morphological, or syntactic—and to examine how these variations influence the interpretation and semantic depth of Qurʾānic discourse.

The study concludes that differences among Qurʾānic readings do not lead to contradiction in meaning; rather, they contribute to expanding semantic possibilities and revealing multiple dimensions of Qurʾānic meaning. This diversity also reflects the richness of the linguistic system of the Qurʾānic text and its capacity to encompass multiple valid semantic interpretations within a single textual structure.

Keywords: linguistic variation, Qurʾānic readings, semantic change, Qurʾānic meaning, science of Qurʾānic readings.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

مقدمة البحث

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجًا، وجعله بلســـان عربي مبين، وأودع فيه من وجوه البيان والدلالة ما جعله مجالًا متجددًا للبحث والتأمل. والصـلاة والسـلام على سـيدنا محمد ﷺ الذي أُوتي جوامع الكلم، وبيّن للناس ما نُزّل إليهم، وعلى آله وصـــحبه الذين تلقوا القرآن الكريم أداءً وتلقينًا، ونقلوه بوجوهه وقراءاته نقلًا متواترًا حفظ للنص وحدته، وأظهر في الوقت نفسه ثراءه اللغوي والدلالي.

أما بعد،

فإن النص القرآني يمثل أعلى مســتويات البيان العربي، ويكشــف عن نظام لغوي بالغ الدقة، تتكامل فيه البنية الصـــوتية والصـــرفية والنحوية والدلالية في بناء محكم تتجاوز دلالاته حدود الاســـتعمال اللغوي العادي، ولذلك اتجهت الدراســات اللغوية والبيانية إلى القرآن الكريم بوصــفه نصًــا مركزيًا في فهم طبيعة العربية في أرقى مستوياتها التعبيرية (الزركشي، 2006).

وتظهر أهمية النظر اللغوي في القرآن الكريم في كونه لا يقتصـــر على بيان المعنى الظاهر للألفاظ، بل يتجاوز ذلك إلى الكشف عن الأبعاد الدلالية التي تنشأ عن تنوع البنى والأساليب ووجوه الأداء، ومن أبرز الميادين التي يتجلى فيها هذا الثراء ما يتصـــل بظاهرة المتغير اللغوي في القراءات القرآنية، إذ لا يمكن النظر إلى هذا المتغير على أنه مجرد اختلاف صوتي أو أدائي، بل هو في كثير من المواضع أداة دلالية تسهم في توسيع المعنى وإبراز جوانب جديدة منه (ابن الجزري، 1999).

إن المتغير اللغوي في القرآن الكريم يمثل ظاهرة ذات طبيعة خاصة؛ لأن النص القرآني لا يخضع للتطور اللغوي الزمني كما تخضـع له النصـوص البشـرية، بل هو نص محفوظ اسـتوعب في بنيته أوجهًا متعددة من الأداء والدلالة ضـــمن إطار لغوي واحد. ومن هنا فإن اختلاف القراءات لا ينبغي أن يفهم على أنه تعارض بين معانٍ متناقضـة، وإنما هو تنوع مشـروع يكشـف عن سـعة النص ومرونته وقدرته على حمل أكثر من وجه دلالي صحيح في آن واحد (السيوطي، 2008).

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وتتضح هذه الظاهرة في المتغيرات الصوتية والصرفية والنحوية التي تظهر في القراءات القرآنية، حيث قد يؤدي تغير الحركة أو الصـــيغة أو البنية إلى توجيه المعنى في اتجاه خاص، أو إلى إبراز بعد دلالي لا يظهر في القراءة الأخرى بالدرجة نفسها. ومن ثم فإن هذا التنوع لا يضعف وحدة النص، بل يعمقها، لأنه يجعل المعنى القرآني أكثر اتســـاعًا واســـتيعابًا، ويمنح الخطاب القرآني قدرة أكبر على الإيحاء والتأثير والتفسير (مكي بن أبي طالب، 2005).

كما أن دراسـة المتغير اللغوي في القراءات القرآنية ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالسـياق البياني للنص؛ لأن البيان في جوهره هو إظهار المعنى وإبرازه في صـورة أكثر كشـفًا وتأثيرًا، والقراءات المختلفة تؤدي في كثير من المواضع هذا الدور البياني، إذ تأتي القراءة لتبرز احتمالًا دلاليًا خاصًا، أو لتكشف بعدًا معنويًا كان كامنًا في اللفظ القرآني. وبذلك يصبح الاختلاف القرائي وسيلة من وسائل توسيع الدلالة وإثراء الفهم، لا عنصرًا من عناصر التناقض أو الاضطراب (أبو شامة، 2003).

ولا تقتصـــر أهمية هذه الظاهرة على بعدها اللغوي المحض، بل تمتد إلى بعدها التاريخي والاجتماعي أيضًـــا؛ لأن القراءات القرآنية نشـــأت في بيئة عربية عرفت تنوعًا لهجيًا واضـــحًا، فجاءت هذه القراءات مســـتوعبة لهذا التنوع ضـــمن نظام منضـــبط يحفظ وحدة النص ويمنع التنازع فيه. ومن ثم فإن المتغير القرائي يمكن النظر إليه كذلك بوصـــفه اســـتجابة لغوية حكيمة للواقع العربي في عصـــر التنزيل، حيث اجتمعت في النص الواحد خصـائص أدائية متعددة دون أن يؤدي ذلك إلى تعدد النصـوص أو اضـطرابها (صبحي الصالح، 2000).

وانطلاقًا من ذلك، يسعى هذا البحث إلى دراسة المتغير اللغوي في السور الممتدة من سورة الذاريات إلى سورة الحديد، من خلال تحليل أثر المتغيرات الصوتية والصرفية والنحوية في توجيه الدلالة القرآنية، وبيان كيفية إســـهام هذا التنوع في توســـيع المعنى، وإزالة توهم التعارض بين القراءات المختلفة، والكشـــف عن علاقته بالإعجاز البياني للنص القرآني.

مشكلة البحث

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

إن دراسة اللغة القرآنية تمثل أحد أهم مجالات البحث في الدراسات الإسلامية واللغوية؛ لأن القرآن الكريم هو النص المركزي الذي تشكلت حوله علوم العربية المختلفة، سواء في مجال النحو أو الصرف أو البلاغة أو التفسير. وقد أدرك علماء العربية منذ العصور الأولى أن النص القرآني يتميز ببنية لغوية فريدة تجمع بين الدقة التعبيرية والثراء الدلالي، الأمر الذي جعل القرآن الكريم مصدرًا رئيسًا لاستنباط القواعد اللغوية وفهم طبيعة البيان العربي في أرقى صوره (الزركشي، 2006).

ومن أبرز الظواهر التي لفتت انتباه العلماء في هذا النص ظاهرة اختلاف القراءات القرآنية، وهي الظاهرة التي تعكس تنوعًا لغويًا مشروعًا في أداء النص القرآني. وقد تناول العلماء هذه الظاهرة منذ القرون الأولى بالتحليل والتفسير، فبينوا أنها ليست اختلافًا في أصل النص، بل هي تنوع في وجوه الأداء اللغوي التي أقرها النبي ﷺ وتلقاها الصحابة عنه نقلًا متواترًا، ثم نقلها القراء من بعدهم جيلاً بعد جيل حتى استقرت في كتب القراءات المشهورة (ابن الجزري، 1999).

غير أن كثيرًا من الدراسات التقليدية تناولت اختلاف القراءات من زاوية ضبط الأداء الصوتي أو بيان صحة الرواية، في حين أن جانبًا مهمًا من هذه الظاهرة يتعلق بالأثر الدلالي الذي قد ينشأ عن هذا التنوع في الأداء. فالاختلاف في الحركة أو البنية الصرفية أو التركيب النحوي قد يؤدي في بعض المواضع إلى توجيه المعنى في اتجاه مختلف أو إلى إبراز جانب دلالي معين دون غيره، وهو ما يجعل دراسة المتغير اللغوي في القراءات القرآنية مجالًا مهمًا للكشف عن العلاقة بين البنية اللغوية والدلالة في النص القرآني (السيوطي، 2008).

ومن هنا تظهر مشكلة البحث؛ إذ يلاحظ أن المتغير اللغوي في القراءات القرآنية كثيرًا ما يُنظر إليه بوصفه مجرد اختلاف في الأداء أو التنوع الصوتي، بينما يغفل في بعض الدراسات عن أثره في توجيه المعنى القرآني وتوسيع دلالته. ولذلك فإن الحاجة تبرز إلى دراسة تحليلية تكشف عن طبيعة العلاقة بين المتغيرات اللغوية في القراءات وبين الأبعاد الدلالية للنص القرآني، وتبين كيف يسهم هذا التنوع في إبراز جوانب متعددة من المعنى دون أن يؤدي إلى تعارض أو تناقض في الدلالة.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

كما أن هذه الإشكالية تتصل كذلك بطبيعة النص القرآني نفسه، لأن القرآن الكريم نص محفوظ ثابت، ومع ذلك فقد استوعب في بنيته اللغوية أكثر من وجه من وجوه الأداء. وهذا الأمر يثير سؤالًا علميًا مهمًا يتعلق بكيفية قدرة النص الواحد على حمل هذه الوجوه المختلفة دون أن يفقد وحدته الدلالية أو انسجامه البياني. ولذلك فإن دراسة المتغير اللغوي في القراءات تمثل مدخلًا مهمًا لفهم طبيعة النظام اللغوي الذي يقوم عليه الخطاب القرآني (مكي بن أبي طالب، 2005).

ويمكن القول إن مشكلة البحث تتمثل في محاولة الكشف عن الكيفية التي يسهم بها المتغير اللغوي في القراءات القرآنية في توجيه المعنى وإثراء الدلالة، مع بيان الضوابط التي تحكم هذا التنوع اللغوي داخل إطار النص القرآني. كما يسعى البحث إلى بيان العلاقة بين هذا التنوع وبين الإعجاز البياني للقرآن الكريم، لأن تعدد الأوجه الدلالية ضمن نص واحد يعد من أبرز مظاهر قوة البيان القرآني وثرائه.

أسئلة الدراسة

انطلاقًا من الإشكالية السابقة، فإن هذه الدراسة تسعى إلى الإجابة عن مجموعة من الأسئلة العلمية التي تساعد على توضيح أبعاد الموضوع وتحليل عناصره المختلفة. وتعد صياغة الأسئلة البحثية خطوة أساسية في بناء الدراسات الأكاديمية؛ لأنها تسهم في تحديد نطاق البحث وتوجيه مساره التحليلي، كما تساعد على تنظيم المادة العلمية وربطها بالإشكالية الرئيسة للدراسة.

السؤال الرئيسي في هذه الدراسة يتمثل في محاولة الإجابة عن الآتي:

- ما أثر المتغير اللغوي في القراءات القرآنية في توجيه الدلالة القرآنية وإثراء المعنى في النص القرآني؟
- وينبثق عن هذا السؤال الرئيس عدد من الأسئلة الفرعية التي تسعى الدراسة إلى معالجتها من خلال التحليل النظري والتطبيقي، ومن أبرز هذه الأسئلة:
- ما المقصود بالمتغير اللغوي في الدراسات اللسانية، وكيف يمكن توظيف هذا المفهوم في دراسة النص القرآني؟

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

- ما العلاقة بين القراءات القرآنية والتنوع اللغوي في العربية، وكيف أسهمت هذه القراءات في استيعاب الظواهر اللهجية المختلفة داخل إطار النص القرآني؟
- ما أنواع المتغيرات اللغوية التي تظهر في القراءات القرآنية، وما طبيعة المتغيرات الصوتية والصرفية والنحوية التي يمكن ملاحظتها في هذه القراءات؟
- كيف يؤثر هذا التنوع اللغوي في توجيه المعنى القرآني، وما الأبعاد الدلالية التي يمكن أن تنشأ عن اختلاف الصيغ أو الحركات أو التراكيب في القراءات المختلفة؟
- إلى أي مدى يمكن النظر إلى هذا التنوع القرائي بوصفه عنصرًا من عناصر الإعجاز البياني في القرآن الكريم؟

إن هذه الأسئلة لا تهدف إلى جمع المعلومات حول القراءات فحسب، بل تسعى إلى بناء تصور تحليلي يربط بين المتغير اللغوي والدلالة القرآنية، وذلك من خلال تحليل النماذج التطبيقية في السور محل الدراسة، وبيان كيف يسهم اختلاف القراءات في توسيع المعنى وإغناء النص الدلالي للآيات.

أهداف الدراسة

بعد تحديد مشكلة البحث وصياغة أسئلته، تأتي مرحلة تحديد أهداف الدراسة، وهي المرحلة التي يوضح فيها الباحث الغاية العلمية التي يسعى إلى تحقيقها من خلال بحثه. وتمثل الأهداف في الدراسات الأكاديمية ترجمة عملية لمشكلة البحث وأسئلته، لأنها تحدد ما الذي يسعى الباحث إلى الوصول إليه من نتائج علمية أو إضافات معرفية في مجال التخصص.

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق مجموعة من الأهداف العلمية، من أهمها بيان مفهوم المتغير اللغوي في الدراسات اللغوية والقرآنية، وتوضيح العلاقة بين هذا المفهوم وبين ظاهرة اختلاف القراءات في القرآن الكريم. كما تسعى الدراسة إلى تحليل طبيعة المتغيرات اللغوية التي تظهر في القراءات القرآنية، سواء كانت متغيرات صوتية تتعلق بالحركات أو صفات الأصوات، أو متغيرات صرفية تتعلق بصيغ الكلمات وبنيتها، أو متغيرات نحوية تتعلق بالبنية التركيبية للجملة.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وإلى جانب ذلك تهدف الدراسة إلى الكشف عن الأثر الدلالي لهذه المتغيرات اللغوية، من خلال تحليل مجموعة من النماذج التطبيقية في السور الممتدة من سورة الذاريات إلى سورة الحديد، وبيان كيف يسهم اختلاف القراءات في إبراز جوانب متعددة من المعنى القرآني. كما تسعى الدراسة إلى توضيح أن هذا التنوع اللغوي لا يؤدي إلى تعارض في المعنى، بل يسهم في توسيع الدلالة وإغناء الخطاب القرآني، وهو ما أشار إليه عدد من العلماء عند حديثهم عن أثر القراءات في التفسير وفي بيان المعاني القرآنية (أبو شامة، 2003).

كما تهدف الدراسة كذلك إلى إبراز العلاقة بين المتغير اللغوي في القراءات وبين الإعجاز البياني للقرآن الكريم، لأن تعدد الأوجه الدلالية في النص الواحد يعد من الخصائص المميزة للبيان القرآني، حيث يجتمع في اللفظ الواحد أكثر من احتمال دلالي صحيح، ويظل السياق القرآني قادرًا على استيعاب هذه الأوجه المختلفة دون أن يفقد انسجامه أو وحدته المعنوية.

ومن خلال تحقيق هذه الأهداف تسعى الدراسة إلى الإسهام في تعميق فهم العلاقة بين اللغة والدلالة في القرآن الكريم، وإلى إبراز الدور الذي تؤديه القراءات القرآنية في الكشف عن ثراء النص القرآني واتساع معانيه، وهو ما يجعل دراسة المتغير اللغوي في القراءات مجالًا مهمًا في الدراسات القرآنية واللسانية المعاصرة (صبحي الصالح، 2000).

أهمية الدراسة

تنبع أهمية هذه الدراسة من طبيعة الموضوع الذي تتناوله، إذ يرتبط المتغير اللغوي في القراءات القرآنية بأحد الجوانب المهمة في فهم البنية اللغوية للنص القرآني والكشف عن أبعاده الدلالية. فالقرآن الكريم يمثل النص الأعلى في البيان العربي، وقد حظي بعناية العلماء منذ العصور الأولى، حيث اتجهت جهودهم إلى دراسة لغته وأساليبه ووجوه قراءاته، لما تحمله هذه الجوانب من أثر في فهم المعنى القرآني وتفسيره (الزركشي، 2006).

وتتجلى أهمية هذه الدراسة كذلك في أنها تسعى إلى الربط بين علم القراءات والدراسات اللسانية الحديثة، من خلال توظيف مفهوم المتغير اللغوي في تحليل القراءات القرآنية. فالدراسات اللسانية المعاصرة تولي

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

اهتمامًا كبيرًا بظاهرة التنوع اللغوي، لأنها تكشف عن مرونة اللغة وقدرتها على استيعاب أكثر من صورة تعبيرية داخل النظام اللغوي الواحد .(Crystal, 2008) ومن هنا فإن تطبيق هذا المفهوم على القراءات القرآنية يمكن أن يسهم في تقديم رؤية لغوية أعمق لطبيعة التنوع في النص القرآني.

كما تظهر أهمية هذه الدراسة في إسهامها في إبراز الدور الدلالي للقراءات القرآنية، لأن اختلاف القراءات لا يقتصر على الجانب الصوتي أو الأدائي، بل قد يؤدي في كثير من الأحيان إلى توسيع المعنى وإبراز جوانب متعددة من الدلالة. وقد أشار عدد من العلماء إلى أن القراءات القرآنية تمثل في بعض المواضع مصدرًا مهمًا لفهم المعاني القرآنية وتفسيرها، لأن كل قراءة قد تكشف عن احتمال دلالي معين داخل السياق القرآني (السيوطي، 2008).

ومن جهة أخرى تسهم هذه الدراسة في توضيح العلاقة بين التنوع اللغوي في القراءات وبين الإعجاز البياني للقرآن الكريم، إذ يظهر من خلال تحليل المتغيرات اللغوية أن النص القرآني قادر على استيعاب أكثر من وجه تعبيري صحيح دون أن يفقد وحدته الدلالية أو انسجامه البياني. وهذا ما يعكس عمق النظام اللغوي الذي يقوم عليه الخطاب القرآني ويبرز ثراءه التعبيري.

كما تكمن أهمية هذه الدراسة في الجانب التطبيقي منها، حيث تقدم تحليلًا لعدد من النماذج القرآنية في السور الممتدة من سورة الذاريات إلى سورة الحديد، وهو ما يساعد على الكشف عن الكيفية التي يسهم بها اختلاف القراءات في توجيه المعنى القرآني وإغناء الدلالة في النص.

وبذلك يمكن القول إن هذه الدراسة تسعى إلى الإسهام في تعميق فهم العلاقة بين اللغة والدلالة في القرآن الكريم، وإبراز الدور الذي تؤديه القراءات القرآنية في الكشف عن ثراء النص القرآني واتساع معانيه.

منهج الدراسة

إن اختيار المنهج العلمي المناسب يمثل خطوة جوهرية في أي بحث أكاديمي؛ لأن المنهج هو الأداة التي يعتمدها الباحث في تحليل الظاهرة المدروسة والكشف عن أبعادها المختلفة. وتختلف المناهج العلمية باختلاف طبيعة الموضوعات المدروسة؛ فهناك مناهج تاريخية تهتم بتتبع نشأة الظواهر وتطورها عبر

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

الزمن، وهناك مناهج تحليلية تهدف إلى تفكيك الظاهرة إلى عناصـــرها المختلفة وتحليل العلاقات بينها، كما توجد مناهج وصفية تعتمد على رصد الظاهرة كما هي في الواقع وتحليل خصائصها وسماتها العامة (صبحي الصالح، 2000).

وبالنظر إلى طبيعة موضوع هذه الدراسة، الذي يتناول المتغير اللغوي في القراءات القرآنية وأثره في توجيه الدلالة، فإن المنهج الأنسب لمعالجة هذا الموضوع هو المنهج الوصفي التحليلي. ويقوم هذا المنهج على وصـف الظاهرة اللغوية محل الدراسـة وصـفًا دقيقًا، ثم تحليل عناصـرها المختلفة والكشـف عن العلاقات التي تربط بينها. ويعد هذا المنهج من أكثر المناهج اسـتخدامًا في الدراسـات اللغوية والقرآنية؛ لأنه يتيح للباحث الجمع بين عرض الظاهرة كما وردت في النصـــوص وتحليلها من حيث بنيتها اللغوية وأثرها الدلالي (الزركشي، 2006).

ويظهر توظيف المنهج الوصـــفي في هذه الدراســـة من خلال عرض المتغيرات اللغوية التي تظهر في القراءات القرآنية، سواء كانت متغيرات صوتية تتعلق بالحركات وصفات الأصوات، أو متغيرات صرفية تتعلق بصيغ الكلمات وبنيتها، أو متغيرات نحوية تتعلق بالبنية التركيبية للجملة. ويتم ذلك من خلال رصد هذه الظواهر في الآيات القرآنية محل الدراســـة، ثم بيان أوجه الاختلاف بين القراءات المختلفة في هذه المواضع.

أما الجانب التحليلي من المنهج فيتمثل في دراســـة الأثر الدلالي لهذه المتغيرات اللغوية، وذلك من خلال تحليل العلاقة بين البنية اللغوية للقراءة والمعنى الذي تؤديه في الســـياق القرآني. فالتغير في الحركة أو الصـــيغة أو التركيب قد يؤدي في بعض المواضـــع إلى توجيه المعنى في اتجاه خاص أو إلى إبراز بعد دلالي معين، ومن هنا يسعى البحث إلى الكشف عن هذه الأبعاد الدلالية وبيان كيفية إسهامها في توسيع المعنى القرآني وإغنائه.

ولا يقتصـــر التحليل في هذه الدراســـة على الجانب اللغوي البحت، بل يمتد أيضًـــا إلى الربط بين هذه المتغيرات وبين السياق البياني للنص القرآني؛ لأن المعنى في القرآن لا يتشكل من اللفظ المفرد فحسب، بل يتكون من خلال تفاعل اللفظ مع السياق العام للآية والسورة. ولذلك فإن تحليل المتغيرات اللغوية في

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

القراءات لا بد أن يتم في إطار السياق القرآني الذي وردت فيه، حتى يمكن فهم أثرها الحقيقي في توجيه المعنى (السيوطي، 2008).

وبذلك يجمع المنهج المعتمد في هذه الدراسة بين الوصف والتحليل، حيث يتم أولًا وصف الظواهر اللغوية المرتبطة بالقراءات القرآنية، ثم تحليل أثر هذه الظواهر في الدلالة القرآنية. ويتيح هذا الجمع بين الوصف والتحليل إمكانية الوصول إلى فهم أعمق للعلاقة بين البنية اللغوية للنص القرآني والمعاني التي يحملها.

حدود الدراسة

تقتضي الدراسات العلمية تحديد نطاق البحث وحدوده، حتى يتضح للقارئ المجال الذي تتحرك فيه الدراسة والموضوعات التي تتناولها. ويعد تحديد الحدود خطوة مهمة في ضبط البحث منهجيًا؛ لأنه يمنع التوسع غير المنضبط في الموضوع، ويساعد على تركيز الجهد العلمي في نطاق محدد يمكن دراسته بصورة دقيقة.

وتتمثل الحدود الموضوعية لهذه الدراسة في تناول المتغير اللغوي في القراءات القرآنية من زاوية أثره في توجيه الدلالة القرآنية. ولذلك فإن الدراسة لا تهدف إلى استقصاء جميع مسائل علم القراءات أو عرض جميع وجوه الاختلاف بين القراء، بل تركز على تحليل المتغيرات اللغوية التي يظهر لها أثر واضح في توجيه المعنى داخل السياق القرآني.

أما الحدود النصية للدراسة فتتمثل في الاقتصار على مجموعة من السور القرآنية التي تمتد من سورة الذاريات إلى سورة الحديد، حيث يتم اختيار عدد من النماذج التطبيقية من هذه السور لتحليل المتغيرات اللغوية الواردة فيها. ويهدف هذا التحديد إلى جعل الدراسة أكثر تركيزًا، بحيث يمكن تحليل النماذج المختارة بصورة تفصيلية تكشف عن طبيعة العلاقة بين المتغير اللغوي والدلالة القرآنية.

كما تقتصر الدراسة من حيث الجانب القرائي على القراءات المتواترة المشهورة التي نقلها أئمة القراءات المعتمدون، وذلك لأن هذه القراءات هي التي أجمع العلماء على قبولها وصحة نسبتها إلى النبي ﷺ، وقد دونها العلماء في كتب القراءات وأثبتوا أسانيدها المتصلة. ولذلك فإن الدراسة لا تتناول القراءات الشاذة إلا

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

في حدود ما قد يذكره بعض المفسـرين أو اللغويين عند بيان الاحتمالات الدلالية للنص (ابن الجزري، 1999).

ومن حيث الجانب اللغوي، تركز الدراسـة على ثلاثة أنواع رئيسـة من المتغيرات اللغوية، وهي المتغيرات الصـوتية والمتغيرات الصـرفية والمتغيرات النحوية، لأنها تمثل أبرز المجالات التي يظهر فيها الاختلاف بين القراءات، كما أن لهذه المتغيرات أثرًا واضـحًا في توجيه المعنى القرآني وإبراز جوانب متعددة من الدلالة.

خطة البحث

بعد تحديد مشـكلة الدراسـة وأسـئلتها وأهدافها وبيان المنهج المعتمد فيها، يصـبح من الضـروري عرض الخطة العامة التي يسـير عليها البحث في معالجة موضـوعه. وتعد خطة البحث بمثابة الهيكل التنظيمي الذي يحدد ترتيب الموضوعات وتسلسلها، كما تساعد القارئ على تصور البناء العام للدراسة قبل الدخول في تفاصيلها.

وانطلاقًا من طبيعة موضوع الدراسة، فقد تم تقسيم البحث إلى مقدمة وثلاثة مباحث رئيسة وخاتمة.

تشـتمل المقدمة على عرض تمهيدي لموضـوع الدراسـة، وبيان أهميته العلمية، وتحديد مشـكلة البحث وأسئلته وأهدافه، إضافة إلى بيان منهج الدراسة وحدودها والخطة التي يسير عليها البحث.

أما المبحث الأول فيتناول التأصـيل النظري لمفهوم المتغير اللغوي والتغير الدلالي في الدراسـات اللسـانية والقرآنية، حيث يتم فيه بيان مفهوم المتغير اللغوي في اللغة العربية، وتوضـيح العلاقة بين المتغيرات اللغوية والدلالة، مع عرض أهم الآليات التي يمكن أن تؤدي إلى نشـوء التغير الدلالي في النصـوص اللغوية، ولا سيما في النص القرآني.

ويتناول المبحث الثاني نشأة علم القراءات وعلاقته بالتنوع اللغوي في العربية، حيث يتم فيه عرض الخلفية التاريخية لنشـأة القراءات القرآنية، وبيان علاقتها بظاهرة الأحرف السـبعة وباللهجات العربية المختلفة، مع توضيح الضوابط العلمية التي وضعها العلماء لقبول القراءات وتمييز الصحيح منها عن غيره.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

أما المبحث الثالث فيخصص للدراسة التطبيقية، حيث يتم تحليل مجموعة من النماذج القرآنية من السور الممتدة من سورة الذاريات إلى سورة الحديد، وذلك من خلال دراسة المتغيرات اللغوية التي تظهر في القراءات المختلفة لهذه الآيات، وبيان أثر هذه المتغيرات في توجيه المعنى القرآني وإبراز الأبعاد الدلالية للنص.

وتختتم الدراسة بخاتمة تتضمن عرضًا لأهم النتائج التي توصل إليها البحث، مع الإشارة إلى بعض التوصيات التي يمكن أن تسهم في تطوير الدراسات المتعلقة بعلم القراءات والعلاقة بين اللغة والدلالة في النص القرآني.

المبحث الأول

المتغير اللغوي والتغير الدلالي في الدراسات اللسانية والقرآنية

المطلب الأول

مفهوم المتغير اللغوي في اللغة والدراسات اللسانية

يعد مفهوم المتغير اللغوي من المفاهيم الأساسية في الدراسات اللسانية الحديثة، إذ يشير إلى اختلاف صور التعبير اللغوي مع بقاء المعنى العام أو الوظيفة التواصلية للنص. وقد ظهر هذا المفهوم بصورة واضحة في علم اللغة الاجتماعي، حيث لاحظ اللغويون أن اللغة لا تستعمل دائمًا في صورة واحدة ثابتة، بل تتنوع أشكالها تبعًا لعوامل مختلفة، مثل البيئة الاجتماعية أو الجغرافية أو السياق الذي يستعمل فيه الكلام (عبد الواحد وافي، 2004).

ويعرف المتغير اللغوي في الدراسات اللسانية بأنه تعدد الصور اللغوية التي يمكن أن تؤدي وظيفة دلالية واحدة داخل النظام اللغوي، بحيث يكون لكل صورة لغوية خصائصها الصوتية أو الصرفية أو النحوية، مع بقاءها منتمية إلى النظام نفسه. ومن هنا فإن المتغير اللغوي لا يعني الفوضى أو الاختلاف غير

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

المنضبط، بل يشير إلى تنوع مشروع تحكمه قواعد اللغة ويخضع لأنماط استعمال معروفة داخل المجتمع اللغوي.(Labov, 1972)

وقد اهتمت الدراسات اللسانية المعاصرة بتحليل هذه الظاهرة، لأنها تكشف عن مرونة اللغة وقدرتها على استيعاب التنوع في الاستعمال دون أن تفقد وحدتها البنيوية. فاللغة ليست نظامًا جامدًا، بل هي منظومة حية تتفاعل مع حاجات المتكلمين وظروف التواصل المختلفة، ولذلك فإن وجود المتغيرات اللغوية يعد ظاهرة طبيعية في جميع اللغات البشرية.(Crystal, 2008)

وإذا كان مفهوم المتغير اللغوي قد ظهر في الدراسات اللسانية الحديثة بوصفه أداة لتحليل التنوع اللغوي في المجتمعات المختلفة، فإن جذور هذا المفهوم يمكن أن تلمح كذلك في التراث اللغوي العربي. فقد أدرك علماء العربية منذ وقت مبكر أن اللغة العربية لا تقوم على صورة واحدة من التعبير، بل تتعدد فيها الأساليب والوجوه اللغوية تبعًا لاختلاف اللهجات أو السياقات. ولذلك نجد في كتب النحو واللغة إشارات متعددة إلى اختلاف لهجات العرب وإلى تنوع الأساليب اللغوية في الاستعمال العربي القديم (ابن جني، 1999).

ومن الأمثلة على ذلك ما ذكره علماء اللغة من اختلاف العرب في بعض الظواهر الصوتية أو الصرفية، مثل اختلافهم في تحقيق الهمز أو تسهيله، أو اختلافهم في بعض الصيغ الصرفية للكلمات. وقد تعامل علماء العربية مع هذه الظواهر بوصفها تنوعًا لغويًا مشروعًا داخل العربية، لا خروجًا عن نظامها العام، وهو ما يقارب في جوهره مفهوم المتغير اللغوي في الدراسات اللسانية الحديثة.

وعلى هذا الأساس يمكن القول إن المتغير اللغوي يشير إلى تعدد الصور اللغوية الممكنة داخل النظام اللغوي الواحد، سواء كان هذا التعدد ناتجًا عن اختلاف اللهجات أو عن اختلاف السياقات أو عن تنوع الأساليب التعبيرية. ويعد هذا المفهوم مدخلًا مهمًا لفهم كثير من الظواهر اللغوية في النصوص الأدبية والدينية، ولا سيما في النص القرآني الذي يجمع في بنيته بين مستويات متعددة من التعبير اللغوي.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

المطلب الثاني

مفهوم التغير الدلالي في الدراسات اللغوية

يرتبط مفهوم المتغير اللغوي ارتباطًا وثيقًا بمفهوم آخر لا يقل أهمية، وهو مفهوم التغير الدلالي. ويقصد بالتغير الدلالي انتقال دلالة الكلمة أو العبارة من معنى إلى معنى آخر، أو اتساعها لتشمل معاني جديدة، أو تضييقها بحيث تصبح أكثر تخصيصًا من معناها الأصلي. وقد اهتم علماء اللغة بدراسة هذه الظاهرة لأنها تكشف عن العلاقة العميقة بين اللغة والفكر، وعن قدرة اللغة على التطور والتكيف مع حاجات المجتمع (أولمان، 1997).

وقد لاحظ اللغويون أن الكلمات لا تبقى دائمًا على المعنى نفسه عبر الزمن، بل قد تتغير دلالاتها نتيجة عوامل متعددة، مثل التغير الاجتماعي أو الثقافي أو النفسي. وقد يؤدي هذا التغير إلى اتساع الدلالة بحيث تشمل مجالات جديدة، أو إلى انتقال المعنى من المجال الحسي إلى المجال المجازي، أو إلى تضييق الدلالة بحيث تصبح الكلمة أكثر تحديدًا في استعمالها.

وقد صنف الباحثون أنواع التغير الدلالي إلى عدة صور، من أبرزها اتساع الدلالة وتضييقها وانتقالها المجازي. فالكلمة قد تنتقل من معنى عام إلى معنى خاص، أو من معنى حسي إلى معنى معنوي، أو من استعمال معين إلى استعمال آخر نتيجة للتطور في حياة المجتمع اللغوي. وتظهر هذه الظاهرة في معظم اللغات الطبيعية، وهي تعد من العلامات الدالة على حيوية اللغة وقدرتها على الاستجابة للتغيرات الفكرية والاجتماعية.(Crystal, 2008)

غير أن دراسة التغير الدلالي في القرآن الكريم تطرح إشكالية خاصة؛ لأن النص القرآني لا يخضع للتطور التاريخي للغة بمعناه المعتاد، بل يمثل نصًا ثابتًا محفوظًا منذ نزوله. ولذلك فإن ما يظهر فيه من تنوع دلالي لا يمكن تفسيره على أساس التطور الزمني للمعنى، بل ينبغي فهمه في إطار البنية البيانية للنص نفسه. وهذا يعني أن التغير الدلالي في القرآن لا يرجع إلى تغير تاريخي في استعمال اللغة، بل إلى قدرة النص القرآني على استيعاب أكثر من احتمال دلالي في سياق واحد.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وقد تنبه عدد من العلماء إلى هذه الحقيقة عند حديثهم عن علاقة القراءات القرآنية بالتفسير، حيث أشاروا إلى أن اختلاف القراءات قد يؤدي في بعض المواضـــع إلى إبراز معانٍ متعددة للآية الواحدة، بحيث تكشـــف كل قراءة عن جانب من جوانب المعنى. ولذلك فإن هذا التنوع في القراءات لا يعد تناقضًـــا في المعنى، بل يمثل نوعًا من التوســـع الدلالي الذي يزيد النص القرآني غنى وعمقًا في الدلالة (الســـيوطي، 2008).

ومن هنا يمكن القول إن العلاقة بين المتغير اللغوي والتغير الدلالي علاقة وثيقة؛ لأن التغير في البنية اللغوية قد يؤدي إلى تغير في زاوية النظر إلى المعنى أو إلى إبراز بعد دلالي معين دون غيره. ولذلك فإن دراســة المتغيرات اللغوية في القراءات القرآنية تمثل مدخلًا مهمًا لفهم كيفية تشـكل المعنى في النص القرآني، وكيف يسهم التنوع اللغوي في توسيع الدلالة وإغنائها.

المطلب الثالث

العلاقة بين المتغير اللغوي والقراءات القرآنية

تمثل القراءات القرآنية أحد أبرز الميادين التي يظهر فيها المتغير اللغوي في العربية؛ لأن هذه القراءات تعكس تنوعًا في الأداء اللغوي للنص القرآني، سواء في المستوى الصوتي أو الصرفي أو النحوي. وقد نقلت هذه القراءات عن النبي ﷺ نقلًا متواترًا، ثم دونها العلماء في كتب القراءات وميزوا بين الصـــحيح منها وغير الصحيح وفق ضوابط علمية دقيقة (ابن الجزري، 1999).

وقد لاحظ العلماء أن اختلاف القراءات قد يظهر في صـورة اختلاف في الحركات أو في صـيغ الكلمات أو في بعض التراكيب النحوية، ومع ذلك فإن هذه الاختلافات لا تخرج عن حدود النظام اللغوي للعربية. ولذلك فإن كثيرًا من اللغويين يرون أن القراءات القرآنية تمثل صورة حية للتنوع اللغوي الذي عرفته العربية في عصر نزول القرآن، حيث استوعب النص القرآني بعض الظواهر اللهجية المختلفة ضمن إطار لغوي واحد (مكي بن أبي طالب، 2005).

ويظهر المتغير اللغوي في القراءات القرآنية في عدة مسـتويات، من أبرزها المتغير الصـوتي الذي يتعلق باختلاف الحركات وصـفات الأصـوات، والمتغير الصـرفي الذي يتعلق بصـيغ الكلمات وبنيتها، والمتغير

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

النحوي الذي يتعلق بالبنية التركيبية للجملة. وقد يؤدي كل نوع من هذه المتغيرات إلى توجيه المعنى في اتجاه معين أو إلى إبراز جانب دلالي خاص في النص القرآني.

فالتغير في الحركة قد يؤدي إلى اختلاف في الإعراب ومن ثم إلى اختلاف في وظيفة الكلمة داخل الجملة، بينما قد يؤدي التغير في الصيغة الصرفية إلى انتقال المعنى من الفعل إلى الاسم أو من المفرد إلى الجمع أو غير ذلك من التحولات الدلالية. كما أن التغير في التركيب النحوي قد يغير زاوية النظر إلى الحدث أو يبرز عنصرًا معينًا في الجملة دون غيره.

ومن هنا فإن دراسة المتغير اللغوي في القراءات القرآنية لا تقتصر على الجانب الصوتي أو الأدائي، بل تتجاوز ذلك إلى تحليل الأبعاد الدلالية التي يمكن أن تنشـــأ عن هذا التنوع اللغوي. وهذا ما يجعل علم القراءات مجالًا مهمًا في الدراســـات اللغوية والبيانية، لأنه يكشـــف عن العلاقة العميقة بين البنية اللغوية للنص القرآني والمعاني التي يحملها.

وبهذا يتضح أن المتغير اللغوي في القراءات القرآنية يمثل ظاهرة لغوية ودلالية في آن واحد، إذ يجمع بين التنوع في الأداء اللغوي والتنوع في الدلالة. ومن هنا تأتي أهمية دراســـته في إطار يجمع بين التحليل اللغوي والتحليل الدلالي، حتى يمكن الكشـــف عن الدور الذي يؤديه هذا التنوع في إثراء المعنى القرآني وإبراز جوانبه المختلفة.

المطلب الرابع

آليات التغير الدلالي في النص القرآني

بعد بيان مفهوم المتغير اللغوي وعلاقته بالتغير الدلالي في الدراسات اللغوية، وكذلك توضيح الصلة بين هذه الظاهرة وبين القراءات القرآنية، يصبح من الضروري الانتقال إلى تحليل الآليات التي يمكن أن ينشأ من خلالها التغير الدلالي في النص القرآني. فالمعنى في القرآن الكريم لا يتشـــكل من خلال اللفظ المفرد

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وحده، بل يتكون نتيجة تفاعل عدد من العناصر اللغوية والبيانية، مثل البنية الصرفية والتركيب النحوي والسياق العام للآية والسورة.

وقد لاحظ علماء اللغة والبلاغة أن التغير في هذه العناصر قد يؤدي في كثير من الأحيان إلى تغير في زاوية النظر إلى المعنى أو إلى إبراز بعد دلالي خاص داخل النص. ولذلك فإن دراسة التغير الدلالي في القرآن الكريم تقتضي النظر في مجموعة من الآليات اللغوية التي يمكن أن تؤدي إلى هذا التغير، ومن أهمها التغير الصوتي والتغير الصرفي والتغير التركيبي، إضافة إلى أثر السياق في توجيه المعنى (السيوطي، 2008).

ومن أبرز هذه الآليات ما يمكن أن يسمى بالتغير الصوتي، ويقصد به التغير الذي ينشأ نتيجة اختلاف الحركات أو صفات الأصوات في القراءة. وقد يبدو هذا التغير في ظاهره تغيرًا بسيطًا في الأداء الصوتي، غير أن أثره قد يمتد أحيانًا إلى البنية النحوية للجملة ومن ثم إلى المعنى الذي تؤديه الكلمة في السياق. فالاختلاف بين الضم والفتح أو الكسر قد يؤدي إلى اختلاف في الإعراب، وهو ما قد يغير وظيفة الكلمة داخل الجملة ويؤثر في تفسير الآية (مكي بن أبي طالب، 2005).

كما يظهر التغير الدلالي أيضًا من خلال التغير الصرفي، أي الاختلاف في صيغ الكلمات وبنيتها. فالكلمة في العربية قد تأتي في أكثر من صيغة صرفية، وكل صيغة قد تحمل دلالة خاصة تميزها عن غيرها. ولذلك فإن اختلاف الصيغة في القراءات القرآنية قد يؤدي إلى إبراز معنى معين أو إلى توسيع الدلالة بحيث تشمل أكثر من احتمال دلالي. وقد أشار عدد من العلماء إلى أن اختلاف الصيغ الصرفية في القراءات قد يسهم في بيان المعاني المختلفة التي يمكن أن تحتملها الآية الواحدة (ابن الجزري، 1999).

ومن الآليات المهمة أيضًا التغير التركيبي، ويقصد به الاختلاف في البنية النحوية للجملة. فاختلاف مواقع الكلمات أو وظائفها الإعرابية قد يؤدي إلى تغير في العلاقات الدلالية بين عناصر الجملة. وقد يؤدي هذا التغير إلى تقديم معنى معين أو إلى إبراز عنصر خاص في الخطاب القرآني. ولذلك فإن التحليل النحوي للقراءات المختلفة يعد خطوة مهمة في فهم الأبعاد الدلالية للنص القرآني.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

ولا يقتصر الأمر على هذه الجوانب اللغوية فحسب، بل يلعب السياق دورًا أساسيًا في توجيه المعنى وتحديد الأبعاد الدلالية للآية. فالكلمة في القرآن الكريم لا يمكن فهمها بمعزل عن السياق الذي وردت فيه، لأن السياق يسهم في تحديد المعنى المقصود ويمنع كثيرًا من احتمالات اللبس أو التعدد غير المنضبط. ولذلك فإن اختلاف القراءات ينبغي أن يدرس دائمًا في إطار السياق العام للآية والسورة، حتى يمكن فهم أثره الحقيقي في توجيه المعنى (الزركشي، 2006).

ومن خلال هذه الآليات المختلفة يمكن القول إن التغير الدلالي في القرآن الكريم لا ينشأ عن تغير تاريخي في اللغة كما هو الحال في كثير من النصوص البشرية، بل ينتج عن تنوع لغوي مقصود داخل النص نفسه. وهذا التنوع يسمح للنص القرآني بأن يحمل أكثر من بعد دلالي صحيح، بحيث تكشف كل قراءة عن جانب معين من المعنى دون أن يؤدي ذلك إلى تعارض بين القراءات المختلفة.

المطلب الخامس

القراءات القرآنية وأثرها في توسيع الدلالة

تعد القراءات القرآنية من أبرز الظواهر اللغوية التي تكشف عن ثراء النص القرآني واتساع دلالاته. فالقراءة في جوهرها ليست مجرد طريقة مختلفة في النطق أو الأداء، بل هي وجه من وجوه التعبير اللغوي للنص القرآني، نقل عن النبي ﷺ نقلًا متواترًا، وأقره العلماء ضمن ضوابط علمية دقيقة تحفظ للنص وحدته وتمنع التلاعب به (ابن الجزري، 1999).

وقد أدرك علماء التفسير منذ وقت مبكر أن اختلاف القراءات قد يؤدي في بعض المواضع إلى إبراز معانٍ متعددة للآية الواحدة، ولذلك كانوا يحرصون على ذكر القراءات المختلفة عند تفسير الآيات، لأن كل قراءة قد تكشف عن جانب من جوانب المعنى لا يظهر بالدرجة نفسها في القراءة الأخرى. ومن هنا فإن اختلاف القراءات لا يعد تناقضًا في المعنى، بل يمثل نوعًا من التوسع الدلالي الذي يزيد النص القرآني غنى وعمقًا (السيوطي، 2008).

وقد أشار عدد من العلماء إلى أن هذا التنوع في القراءات يمثل أحد وجوه الإعجاز البياني في القرآن الكريم؛ لأن النص الواحد يصبح قادرًا على حمل أكثر من احتمال دلالي صحيح، بحيث تتكامل هذه

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

المعاني ولا تتعارض. فالقراءة قد تبرز جانبًا من المعنى يتعلق بالفعل أو الحدث، بينما قد تبرز قراءة أخرى جانبًا يتعلق بالفاعل أو بالمفعول أو بظروف الحدث، وبذلك تتشكل صورة دلالية أكثر شمولًا واتساعًا (الزركشي، 2006).

كما أن اختلاف القراءات يسهم في إزالة كثير من الإشكالات التفسيرية التي قد تظهر عند الاقتصار على قراءة واحدة. فقد تفسر قراءة معينة معنى الآية في ضوء سياق خاص، بينما تكشف قراءة أخرى عن بعد إضافي يساعد على فهم الآية بصورة أعمق. ولذلك فإن بعض العلماء يرون أن القراءات المتعددة تقوم في بعض المواضع مقام التفسير، لأنها توضح المعاني المحتملة للنص وتكشف عن أبعاده المختلفة (أبو شامة، 2003).

ومن هنا فإن دراسة أثر القراءات في توسيع الدلالة لا تقتصر على بيان الاختلافات اللغوية بين القراءات، بل تهدف إلى تحليل الكيفية التي يسهم بها هذا التنوع في بناء المعنى القرآني. فالنص القرآني لا يعتمد على لفظ واحد يؤدي معنى واحدًا فحسب، بل يعتمد على منظومة لغوية مرنة تسمح بوجود أكثر من وجه تعبيري داخل النص نفسه.

ويمكن القول إن هذا التنوع في القراءات يمثل أحد مظاهر القوة البيانية في القرآن الكريم؛ لأن النص الواحد يصبح قادرًا على استيعاب معانٍ متعددة دون أن يفقد انسجامه أو وحدته الدلالية. ولذلك فإن دراسة القراءات القرآنية من منظور لغوي ودلالي تسهم في الكشف عن عمق النظام اللغوي الذي يقوم عليه النص القرآني، وتبرز قدرة هذا النص على الجمع بين الوحدة والتنوع في آن واحد.

المبحث الثاني

نشأة علم القراءات وعلاقته بالتنوع اللغوي في العربية

تمهيد

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

لا يمكن دراسة المتغير اللغوي في القراءات القرآنية دراسة علمية دقيقة دون الرجوع إلى الإطار التاريخي واللغوي الذي نشأت فيه هذه القراءات، لأن القراءات لم تظهر بوصفها ظاهرة لغوية معزولة عن سياقها الحضاري، بل نشأت في بيئة عربية اتسمت بتنوع لهجي واضح، وكانت اللغة العربية في ذلك العصر تضم عددًا من الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية التي تختلف من قبيلة إلى أخرى. ولذلك فإن فهم نشأة علم القراءات يسهم في تفسير كثير من صور التنوع اللغوي التي تظهر في القراءات القرآنية.

وقد أدرك العلماء منذ وقت مبكر أن هذا التنوع لا يمثل خروجًا عن وحدة اللغة العربية، بل يعكس مرونة هذه اللغة وقدرتها على استيعاب الاختلافات اللهجية ضمن إطار لغوي واحد. ومن هنا فإن القراءات القرآنية تمثل في كثير من الأحيان صورة حية لبعض الظواهر اللغوية التي كانت معروفة عند العرب في عصر نزول القرآن الكريم (صبحي الصالح، 2000).

كما أن علم القراءات لم ينشأ دفعة واحدة في صورة علم مستقل، بل مر بعدة مراحل تاريخية بدأت بتلقي الصحابة القرآن الكريم عن النبي ﷺ، ثم انتقلت إلى مرحلة التدوين العلمي في القرون الأولى للهجرة، حيث قام العلماء بضبط أصول القراءات وتمييز الصحيح منها من غيره وفق ضوابط علمية دقيقة. ولذلك فإن دراسة نشأة علم القراءات تمثل خطوة ضرورية لفهم طبيعة المتغيرات اللغوية التي تظهر في هذه القراءات.

المطلب الأول

نزول القرآن على سبعة أحرف وعلاقته بالتنوع اللغوي

يعد حديث نزول القرآن على سبعة أحرف من أهم النصوص التي استند إليها العلماء في تفسير ظاهرة التعدد في القراءات القرآنية. فقد ورد في عدد من الروايات الصحيحة أن النبي ﷺ قال: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه. وقد اهتم العلماء بشرح هذا الحديث وبيان المقصود بالأحرف السبعة، لأن فهمه يساعد على تفسير طبيعة التنوع اللغوي الذي يظهر في القراءات القرآنية (السيوطي، 2008).

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وقد تعددت أقوال العلماء في تفسير المراد بالأحرف السبعة، إلا أن معظم هذه الأقوال تدور حول فكرة التيسير على العرب الذين كانوا يتكلمون بلهجات مختلفة. فالعرب في عصر نزول القرآن لم يكونوا يتكلمون بلهجة واحدة موحدة، بل كانت بينهم اختلافات في بعض الظواهر الصوتية والصرفية والنحوية، ولذلك جاء نزول القرآن على سبعة أحرف نوعًا من التوسعة عليهم حتى يتمكنوا من قراءة القرآن وفق ما يسهل عليهم من لغاتهم (الزركشي، 2006).

ومن هنا فإن مفهوم الأحرف السبعة يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالتنوع اللغوي الذي عرفته العربية في ذلك العصر. فالاختلاف بين بعض القراءات يمكن تفسيره في ضوء هذا التنوع اللهجي، حيث جاءت بعض القراءات موافقة لظواهر لغوية كانت معروفة عند قبائل عربية معينة، مثل اختلافهم في تحقيق الهمز أو تسهيله، أو اختلافهم في بعض الصيغ الصرفية للكلمات.

غير أن هذا التنوع لم يكن مفتوحًا على مصراعيه، بل كان محكومًا بضوابط معينة، لأن القراءة لا تكون مقبولة إلا إذا توفرت فيها شروط محددة، من أهمها صحة السند وموافقة وجه من وجوه العربية وموافقة رسم المصحف العثماني. وقد وضع العلماء هذه الضوابط لضمان بقاء القراءات ضمن الإطار الذي تلقاه الصحابة عن النبي ﷺ (ابن الجزري، 1999).

ومن خلال هذا الفهم يتضح أن التعدد في القراءات القرآنية ليس ظاهرة عارضة، بل هو جزء من النظام اللغوي الذي نزل به القرآن الكريم. ولذلك فإن اختلاف القراءات ينبغي أن ينظر إليه في إطار التنوع المشروع الذي يسمح به النظام اللغوي للعربية، لا في إطار التناقض أو الاختلاف الذي يؤدي إلى اضطراب المعنى.

المطلب الثاني

تدوين علم القراءات في القرون الأولى

بعد انتقال النبي ﷺ إلى الرفيق الأعلى، استمر الصحابة في تعليم القرآن الكريم للتابعين ونقل القراءات التي تلقوها عن النبي ﷺ. وقد انتشر الصحابة في الأمصار المختلفة، مثل مكة والمدينة والبصرة والكوفة والشام، وأخذ عنهم التابعون القرآن بوجوهه المختلفة. ومع مرور الزمن بدأت تظهر الحاجة إلى ضبط هذه

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

القراءات وتمييز الصحيح منها من غيره، خاصة مع اتساع رقعة الدولة الإسلامية ودخول غير العرب في الإسلام (ابن الجزري، 1999).

وقد أدى هذا الوضع إلى نشوء علم القراءات بوصفه علمًا مستقلاً يهتم بضبط وجوه القراءة وتوثيق أسانيدها وبيان أصولها اللغوية. وقد قام العلماء في القرون الأولى للهجرة بجمع القراءات التي نقلت عن الأئمة المشهورين، ثم صنفوا الكتب التي تضبط هذه القراءات وتبين أوجهها المختلفة.

ومن أشهر العلماء الذين أسهموا في تدوين هذا العلم الإمام ابن مجاهد في القرن الرابع الهجري، حيث قام باختيار سبعة من أئمة القراءات الذين اشتهرت قراءاتهم في الأمصار الإسلامية، وهم نافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي. وقد أدى عمل ابن مجاهد إلى انتشار مصطلح القراءات السبع، وإن كان العلماء يؤكدون أن القراءات الصحيحة لا تقتصر على هؤلاء السبعة فحسب (السيوطي، 2008).

وقد استمر علماء القراءات بعد ذلك في تطوير هذا العلم وتدوين أصوله، حتى جاء الإمام ابن الجزري في القرن الثامن الهجري فجمع القراءات المتواترة وحرر أصولها في عدد من مؤلفاته، وأصبح كتابه النشر في القراءات العشر من أهم المراجع في هذا العلم. وقد بين ابن الجزري الضوابط التي يجب أن تتوافر في القراءة المقبولة، وهي صحة السند وموافقة العربية وموافقة رسم المصحف (ابن الجزري، 1999).

ومن خلال هذه الجهود العلمية أصبح علم القراءات من العلوم الراسخة في التراث الإسلامي، حيث وضع العلماء قواعد دقيقة لضبط القراءات وتوثيقها. وقد أسهم هذا العلم في حفظ النص القرآني بوجوهه المختلفة، كما حفظ كثيرًا من الظواهر اللغوية التي كانت معروفة في العربية في عصر نزول القرآن.

المطلب الثالث

علاقة القراءات باللهجات العربية

ترتبط القراءات القرآنية ارتباطًا وثيقًا باللهجات العربية التي كانت سائدة في شبه الجزيرة العربية قبل الإسلام وفي عصر نزول القرآن الكريم. فقد كانت العربية في ذلك العصر تضم عددًا من اللهجات التي

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

تختلف في بعض الظواهر الصوتية والصرفية، مثل تحقيق الهمز أو تسهيله، أو اختلافهم في بعض صيغ الجمع أو الإعراب.

وقد انعكس هذا التنوع اللهجي في بعض وجوه القراءات القرآنية، حيث جاءت بعض القراءات موافقة للخصائص اللغوية التي كانت معروفة عند قبائل عربية معينة. وقد أشار عدد من اللغويين إلى أن القراءات تمثل في بعض جوانبها صورة من صور التنوع اللهجي الذي عرفته العربية في ذلك العصر (ابن جني، 1999).

ومع ذلك فإن هذا الارتباط بين القراءات واللهجات لا يعني أن كل قراءة تمثل لهجة معينة بصورة كاملة، لأن القراءات في حقيقتها ليست مجرد انعكاس مباشر للهجات، بل هي وجوه أداء نقلت عن النبي ﷺ وتلقاها الصحابة عنه. ولذلك فإن العلاقة بين القراءات واللهجات هي علاقة جزئية، حيث يمكن أن تتفق بعض القراءات مع ظواهر لهجية معينة دون أن يعني ذلك أنها تمثل تلك اللهجة بالكامل.

ومن هنا فإن دراسة القراءات القرآنية تسهم كذلك في فهم تاريخ العربية وتطورها، لأنها تحفظ في بنيتها كثيرًا من الظواهر اللغوية التي كانت معروفة في كلام العرب في عصر النزول. ولذلك يعتمد كثير من اللغويين على القراءات القرآنية في دراسة بعض الظواهر الصوتية والصرفية التي لم تصلنا شواهد كثيرة عنها في النصوص الأدبية الأخرى.

وبذلك يتضح أن القراءات القرآنية تمثل مجالًا غنيًا لدراسة التنوع اللغوي في العربية، لأنها تجمع بين البعد الديني المرتبط بتلاوة القرآن الكريم، والبعد اللغوي الذي يكشف عن ثراء العربية وتنوعها في الاستعمال. ومن هنا تأتي أهمية دراسة المتغير اللغوي في القراءات القرآنية، لأنها تسهم في فهم العلاقة بين اللغة والدلالة في النص القرآني.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

المطلب الرابع

ضوابط القراءة الصحيحة وأثرها في ضبط المتغير اللغوي

بعد بيان الخلفية التاريخية لنشأة علم القراءات وعلاقته بالتنوع اللغوي في العربية، يصبح من الضروري الوقوف عند الضوابط العلمية التي وضعها العلماء لقبول القراءات القرآنية وتمييز الصحيح منها من غيره. وتعد هذه الضوابط من أهم الأسس التي يقوم عليها علم القراءات؛ لأنها تحفظ النص القرآني من التحريف، وفي الوقت نفسه تفسر طبيعة التنوع اللغوي الذي يظهر في القراءات المختلفة.

وقد استقر رأي علماء القراءات على أن القراءة لا تكون مقبولة إلا إذا توفرت فيها ثلاثة شروط أساسية، وهي صحة السند، وموافقة وجه من وجوه العربية، وموافقة رسم المصحف العثماني ولو احتمالًا. وقد صاغ الإمام ابن الجزري هذه الضوابط في قاعدة مشهورة أصبحت معيارًا أساسياً لقبول القراءات، حيث أكد أن كل قراءة اجتمعت فيها هذه الشروط الثلاثة فهي قراءة صحيحة يجوز القراءة بها، أما إذا اختل أحد هذه الشروط فإن القراءة لا تكون مقبولة ضمن القراءات المتواترة (ابن الجزري، 1999).

أما الشرط الأول وهو صحة السند، فيقصد به أن تكون القراءة منقولة عن النبي ﷺ نقلًا صحيحًا متصلًا عبر سلسلة من الرواة الثقات. ويعد هذا الشرط أساسًا في علم القراءات؛ لأن القرآن الكريم نقل بالتلقي والمشافهة قبل أن يدون في المصاحف، ولذلك حرص العلماء على توثيق أسانيد القراءات وضبط طرق نقلها بدقة شديدة. وقد أدى هذا الاهتمام إلى نشوء علم خاص يسمى علم الإسناد، وهو العلم الذي يعنى بدراسة سلسلة الرواة وتوثيقهم (السيوطي، 2008).

أما الشرط الثاني فهو موافقة وجه من وجوه العربية، ويقصد به أن تكون القراءة منسجمة مع القواعد اللغوية المعروفة في اللغة العربية، سواء في المستوى الصوتي أو الصرفي أو النحوي. وهذا الشرط يعكس العلاقة الوثيقة بين علم القراءات وعلوم اللغة العربية، لأن القراءات تمثل في كثير من الأحيان شواهد لغوية يعتمد عليها النحويون واللغويون في الاستدلال على بعض القواعد اللغوية (ابن جني، 1999).

وقد أكد العلماء أن هذا الشرط لا يعني أن تكون القراءة موافقة للقاعدة النحوية المشهورة فقط، بل يكفي أن تكون موافقة لوجه معتبر من وجوه العربية، حتى لو كان هذا الوجه قليل الاستعمال أو مرتبطًا بلهجة

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

معينة من لهجات العرب. ومن هنا فإن بعض القراءات قد تبدو مخالفة لبعض القواعد النحوية المعروفة، غير أنها في الحقيقة تستند إلى استعمال لغوي معروف عند بعض القبائل العربية (الزركشي، 2006).

أما الشرط الثالث فهو موافقة رسم المصحف العثماني، ويقصد به أن تكون القراءة منسجمة مع الرسم الذي كتبت به المصاحف في عهد الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه. وقد كتب هذا الرسم بطريقة تسمح باحتمال أكثر من وجه من وجوه القراءة، لأن المصاحف الأولى كانت خالية من النقط والشكل، وهو ما جعلها قادرة على استيعاب عدد من القراءات المختلفة دون أن يؤدي ذلك إلى تعدد النصوص (ابن الجزري، 1999).

وقد أدى اجتماع هذه الضوابط الثلاثة إلى ضبط ظاهرة التعدد في القراءات وضمان بقائها ضمن إطار محدد يمنع الفوضى في القراءة أو التوسع غير المنضبط فيها. ولذلك فإن المتغير اللغوي في القراءات القرآنية لا يعد تغيرًا عشوائيًا، بل هو تنوع منظم تحكمه قواعد علمية دقيقة وضعها العلماء لحفظ النص القرآني.

ومن خلال هذه الضوابط يتضح أن اختلاف القراءات لا يمكن أن يخرج عن حدود النظام اللغوي للعربية، لأن القراءة المقبولة يجب أن تكون منسجمة مع القواعد اللغوية ومع الرسم العثماني ومع النقل الصحيح عن النبي ﷺ. ومن هنا فإن المتغير اللغوي في القراءات يمثل تنوعًا مشروعًا داخل إطار منضبط، لا اختلافًا يؤدي إلى اضطراب النص أو تعارض معانيه.

المطلب الخامس

مدارس القراء وأثر البيئة اللغوية في القراءات

مع انتشار الصحابة في الأمصار الإسلامية المختلفة بعد الفتوحات، بدأت تظهر مراكز علمية في عدد من المدن الكبرى مثل مكة والمدينة والبصرة والكوفة والشام. وقد أصبح لكل مدينة من هذه المدن عدد من القراء الذين اشتهروا بإتقان قراءة القرآن الكريم وتعليمها للناس، وكان لكل مركز من هذه المراكز خصائصه اللغوية التي تأثرت بالبيئة العربية التي نشأ فيها.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

وقد أدى هذا الانتشار إلى ظهور ما يمكن تسميته بمدارس القراء، حيث نشأت في كل مدينة تقاليد خاصة في الأداء القرائي ترتبط بما تلقاه القراء عن شيوخهم من الصحابة والتابعين. ومع مرور الزمن اشتهرت بعض هذه المدارس بقراء معينين أصبحوا أئمة في هذا العلم، وانتشرت قراءاتهم في الأمصار المختلفة (السيوطي، 2008).

ومن أشهر هذه المدارس مدرسة المدينة التي ارتبطت بقراءة الإمام نافع، ومدرسة مكة التي ارتبطت بقراءة ابن كثير، ومدرسة البصرة التي ارتبطت بقراءة أبي عمرو بن العلاء، ومدرسة الشام التي ارتبطت بقراءة ابن عامر، ومدرسة الكوفة التي اشتهرت بقراءات عاصم وحمزة والكسائي.

وقد لاحظ العلماء أن البيئة اللغوية التي نشأ فيها هؤلاء القراء قد يكون لها أثر في بعض اختياراتهم القرائية، لأن كل منطقة من هذه المناطق كانت تتأثر بلهجات عربية معينة. ومع ذلك فإن هذا الأثر لا يعني أن القراءات تعكس اللهجات بصورة مباشرة، لأن القراءات في الأصل تعتمد على النقل عن النبي ﷺ، وليس على الاجتهاد اللغوي للقراء (مكي بن أبي طالب، 2005).

ومن هنا فإن العلاقة بين البيئة اللغوية والقراءات هي علاقة تأثير جزئي، حيث قد يظهر في بعض القراءات ما يوافق ظواهر لغوية كانت معروفة في تلك البيئة، غير أن هذا لا يعني أن القراء كانوا يختارون القراءات بناءً على لهجاتهم، بل كانوا يعتمدون أساسًا على ما تلقوه عن شيوخهم بالسند المتصل إلى النبي ﷺ.

وتظهر أهمية دراسة مدارس القراء في أنها تساعد على فهم الخلفية العلمية التي تشكلت فيها القراءات القرآنية، كما تكشف عن الدور الذي قامت به المراكز العلمية الكبرى في حفظ هذا العلم ونقله عبر الأجيال. وقد أسهمت هذه المدارس في ترسيخ تقاليد علمية دقيقة في نقل القراءات وضبطها، وهو ما ساعد على حفظ النص القرآني بوجوهه المختلفة.

ومن خلال هذه المعطيات يتضح أن القراءات القرآنية نشأت في إطار علمي ولغوي منظم، حيث اجتمع فيها النقل المتواتر عن النبي ﷺ مع التنوع اللغوي الذي عرفته العربية في عصر النزول. وهذا ما يجعل دراسة المتغير اللغوي في القراءات مجالًا مهمًا لفهم العلاقة بين اللغة العربية والنص القرآني.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

المبحث الثالث

التحليل التطبيقي للمتغيرات اللغوية في السور محل الدراسة

تمهيد

بعد عرض الإطار النظري لمفهوم المتغير اللغوي وعلاقته بالتغير الدلالي، وبيان الخلفية التاريخية لنشأة علم القراءات وعلاقته بالتنوع اللغوي في العربية، يأتي هذا المبحث ليتناول الجانب التطبيقي من الدراسة. ويهدف هذا الجانب إلى تحليل عدد من النماذج القرآنية التي يظهر فيها اختلاف القراءات، وذلك للكشف عن طبيعة المتغيرات اللغوية التي تتضمنها هذه القراءات، وبيان أثرها في توجيه المعنى القرآني.

إن الدراسة التطبيقية تمثل خطوة أساسية في هذا البحث، لأنها تنقل الدراسة من المستوى النظري إلى المستوى العملي، حيث يتم اختبار المفاهيم التي عرضت في المباحث السابقة من خلال تحليل نصوص قرآنية محددة. ومن خلال هذا التحليل يمكن الكشف عن كيفية إسهام المتغيرات الصوتية والصرفية والنحوية في بناء الدلالة القرآنية، وبيان الكيفية التي يسهم بها اختلاف القراءات في توسيع المعنى وإبراز جوانب متعددة من الدلالة.

وقد وقع اختيار الدراسة على مجموعة من السور القرآنية التي تمتد من سورة الذاريات إلى سورة الحديد، وذلك لأن هذه السور تتضمن عددًا من المواضع التي يظهر فيها اختلاف القراءات، كما أن تحليل هذه المواضع يسمح بإبراز أنواع متعددة من المتغيرات اللغوية، سواء في المستوى الصوتي أو الصرفي أو النحوي. ويقوم التحليل في هذا المبحث على عرض الآية القرآنية، ثم بيان القراءات المختلفة الواردة فيها، ثم تحليل الأثر اللغوي والدلالي لهذا الاختلاف في ضوء السياق القرآني (ابن الجزري، 1999).

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

المطلب الأول

المتغيرات اللغوية في سورة الذاريات

تعد سورة الذاريات من السور المكية التي تتميز بأسلوبها البياني القوي وبالتركيز على موضوعات العقيدة والبعث والجزاء. وقد وردت في هذه السورة بعض المواضع التي يظهر فيها اختلاف في القراءات، وهو ما يتيح فرصة مناسبة لتحليل أثر المتغير اللغوي في توجيه المعنى.

ومن المواضع التي يمكن التوقف عندها في هذه السورة قوله تعالى: ﴿وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ﴾.

لم يرد في هذه الآية اختلاف قرائي مؤثر في البنية اللغوية للنص، غير أن أهميتها في سياق الدراسة تظهر في دلالتها العامة، حيث تشير إلى أن من صفات المتقين أنهم يجعلون في أموالهم حقًا معلومًا للفقراء والمحتاجين. ويظهر من خلال هذا التعبير أن النص القرآني يستخدم بنية لغوية دقيقة تجمع بين الإيجاز والوضوح في بيان المعنى.

ومن المواضع التي يظهر فيها اختلاف في القراءات قوله تعالى في سورة الذاريات: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾.

وقد اتفق القراء في هذا الموضع على قراءة كلمة "لموسعون" بصيغة اسم الفاعل، وهي صيغة تدل على الاستمرار والثبات في الفعل. وتكشف هذه الصيغة عن دلالة بيانية مهمة، حيث تشير إلى قدرة الله تعالى المستمرة في توسيع خلقه وإحكام نظام الكون.

وعلى الرغم من أن هذا الموضع لا يتضمن اختلافًا قرائيًا ظاهرًا، إلا أنه يبرز أهمية البنية الصرفية في توجيه المعنى، لأن اختيار صيغة اسم الفاعل بدل الفعل المضارع يعطي المعنى بعدًا دلاليًا يشير إلى الاستمرار والثبات.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

ومن خلال هذه الأمثلة يمكن ملاحظة أن التحليل اللغوي للنص القرآني لا يقتصر على مواضع الاختلاف القرائي فقط، بل يشمل كذلك دراسة البنية اللغوية للآية في ضوء السياق العام للسورة. وهذا ما يساعد على فهم العلاقة بين البناء اللغوي للنص والمعنى الذي يؤديه.

المطلب الثاني

المتغيرات اللغوية في سورة الطور

تعد سورة الطور من السور المكية التي تتناول موضوعات العقيدة والبعث والجزاء بأسلوب بياني قوي يعتمد على التصوير البلاغي والتأكيد على قدرة الله تعالى في خلق الكون وتدبيره. وقد ورد في هذه السورة عدد من المواضع التي يمكن دراستها في إطار تحليل المتغيرات اللغوية.

ومن المواضع التي يمكن الوقوف عندها قوله تعالى: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ﴾.

تأتي هذه الآية في سياق الاستدلال على قدرة الله تعالى ووحدانيته، حيث يعرض النص القرآني مجموعة من الأسئلة التي تقود القارئ إلى الإقرار بوجود الخالق. ويعتمد الأسلوب القرآني هنا على بنية استفهامية تحمل معنى الإنكار، وهو ما يعطي الآية قوة دلالية كبيرة في بيان بطلان إنكار المشركين.

ولا يظهر في هذه الآية اختلاف قرائي مؤثر، غير أن أهميتها في سياق الدراسة تكمن في إبراز العلاقة بين البنية التركيبية للجملة والمعنى الذي تؤديه. فالاستفهام هنا لا يقصد به طلب الجواب، بل يستخدم بوصفه أسلوبًا بلاغيًا لإثبات بطلان قول المشركين.

كما يظهر في بعض مواضع هذه السورة اختلاف في بعض الحركات أو الصيغ الصرفية في القراءات المختلفة، وهو ما قد يؤدي في بعض الأحيان إلى اختلاف في توجيه المعنى أو إلى إبراز بعد دلالي معين في النص.

ومن هنا فإن دراسة المتغيرات اللغوية في هذه السورة تساعد على فهم الكيفية التي يستخدم بها النص القرآني البنية اللغوية لإيصال المعاني العقدية بأسلوب يجمع بين القوة البيانية والدقة الدلالية.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

المطلب الثالث

المتغيرات اللغوية في سورة الواقعة

تتميز سورة الواقعة بأسلوبها البياني الذي يعتمد على تصوير مشاهد القيامة وتقسيم الناس إلى أصناف مختلفة بحسب أعمالهم. وقد ورد في هذه السورة عدد من المواضع التي يظهر فيها اختلاف في القراءات، وهو ما يتيح فرصة مناسبة لتحليل أثر المتغير اللغوي في توجيه المعنى.

ومن أبرز المواضع التي يظهر فيها اختلاف القراءات قوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ﴾.

وقد قرأ بعض القراء كلمة "فروح" بضم الراء، في حين قرأها آخرون بفتح الراء. ويؤدي هذا الاختلاف في الحركة إلى اختلاف في التوجيه الدلالي للكلمة، حيث تشير القراءة الأولى إلى معنى الراحة والطمأنينة، بينما قد تشير القراءة الثانية إلى معنى الفرح والسرور.

ويكشف هذا المثال عن الأثر الدلالي الذي يمكن أن ينشأ عن اختلاف الحركة في القراءة، لأن تغير الحركة الصوتية قد يؤدي إلى اختلاف في المعنى الذي تؤديه الكلمة في السياق. ومن هنا فإن اختلاف القراءات لا يمثل مجرد تنوع في الأداء الصوتي، بل قد يسهم في توسيع المعنى وإبراز جوانب متعددة من الدلالة.

كما يظهر في هذه السورة عدد من المواضع التي يمكن تحليلها في ضوء اختلاف الصيغ الصرفية أو التراكيب النحوية، وهو ما يعكس ثراء النص القرآني وقدرته على الجمع بين مستويات متعددة من التعبير اللغوي.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

المطلب الرابع

المتغيرات اللغوية في سورة الحديد

تعد سورة الحديد من السور المدنية التي تتناول موضوعات الإيمان والإنفاق والجهاد في سبيل الله، وتتميز بأسلوبها الذي يجمع بين البيان العقدي والتوجيه التشريعي. وقد ورد في هذه السورة عدد من المواضع التي يظهر فيها اختلاف في القراءات.

ومن المواضع التي يمكن دراستها قوله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ﴾.

وقد ورد في بعض القراءات اختلاف في توجيه بعض الكلمات من حيث الإعراب أو البنية الصرفية، وهو ما قد يؤدي إلى اختلاف في زاوية النظر إلى المعنى. ويكشف هذا الاختلاف عن الدور الذي يمكن أن تؤديه المتغيرات اللغوية في إبراز جوانب متعددة من الدلالة القرآنية.

ومن خلال تحليل هذه النماذج يتضح أن اختلاف القراءات يمثل أحد المداخل المهمة لفهم التنوع الدلالي في النص القرآني. فالقراءة قد تكشف عن جانب من المعنى لا يظهر في القراءة الأخرى بالدرجة نفسها، وبذلك تتكامل القراءات المختلفة في إبراز أبعاد متعددة للمعنى القرآني.

كما يظهر من خلال هذه الدراسة التطبيقية أن المتغير اللغوي في القراءات القرآنية لا يؤدي إلى تعارض في المعنى، بل يسهم في توسيع الدلالة وإثراء النص القرآني. وهذا ما يؤكد أن اختلاف القراءات يمثل ظاهرة لغوية وبيانية في آن واحد، حيث يجمع بين التنوع في الأداء اللغوي والتنوع في الدلالة.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

الخاتمة

بعد هذه الدراسة التي تناولت المتغير اللغوي في القراءات القرآنية من خلال الجمع بين التأصيل النظري والتحليل التطبيقي، يتضح أن هذه الظاهرة تمثل أحد الجوانب المهمة في فهم البنية اللغوية للنص القرآني والكشف عن أبعاده الدلالية. فقد سعى البحث إلى بيان مفهوم المتغير اللغوي في الدراسات اللسانية والقرآنية، ثم تحليل علاقته بالتغير الدلالي، وبيان الدور الذي تؤديه القراءات القرآنية في إبراز هذا التنوع اللغوي ضمن إطار منضبط يحفظ للنص القرآني وحدته واستقراره.

وقد أظهرت الدراسة أن مفهوم المتغير اللغوي لا يعني الاضطراب أو التناقض في التعبير اللغوي، بل يشير إلى تعدد الصور اللغوية الممكنة داخل النظام اللغوي الواحد. وتبين أن هذا المفهوم قد حظي باهتمام واسع في الدراسات اللسانية الحديثة، كما يمكن العثور على جذوره في التراث اللغوي العربي، حيث أشار علماء العربية إلى تنوع الأساليب واختلاف لهجات العرب في بعض الظواهر الصوتية والصرفية.

كما بينت الدراسة أن التغير الدلالي يمثل أحد الجوانب الأساسية في تحليل اللغة، لأن المعنى لا يتشكل من خلال اللفظ المفرد فقط، بل يتكون نتيجة التفاعل بين عناصر متعددة، مثل البنية الصرفية والتركيب النحوي والسياق العام للنص. وقد أظهرت الدراسة أن النص القرآني يتميز بقدرته على استيعاب أكثر من احتمال دلالي صحيح ضمن السياق الواحد، وهو ما يمنح الخطاب القرآني عمقًا دلاليًا واتساعًا في المعنى.

وقد تناول البحث كذلك نشأة علم القراءات وعلاقته بالتنوع اللغوي في العربية، حيث تبين أن القراءات القرآنية نشأت في بيئة لغوية عرفت تنوعًا لهجيًا واضحًا. وقد جاء نزول القرآن على سبعة أحرف تيسيرًا على العرب الذين كانوا يتكلمون بلهجات مختلفة، وهو ما سمح بوجود قدر من التنوع اللغوي في أداء النص القرآني دون أن يؤدي ذلك إلى تعدد النصوص أو اضطرابها.

كما أوضحت الدراسة أن علماء القراءات وضعوا ضوابط علمية دقيقة لقبول القراءات وتمييز الصحيح منها من غيره، ومن أبرز هذه الضوابط صحة السند وموافقة وجه من وجوه العربية وموافقة رسم المصحف

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

العثماني. وقد أسهمت هذه الضوابط في ضبط ظاهرة التعدد في القراءات وضمان بقائها ضمن إطار منظم يحفظ للنص القرآني وحدته.

وفي الجانب التطبيقي من الدراسة تم تحليل عدد من النماذج القرآنية من السور الممتدة من سورة الذاريات إلى سورة الحديد، وذلك للكشف عن أثر المتغيرات اللغوية في القراءات المختلفة في توجيه المعنى القرآني. وقد أظهرت هذه الدراسة التطبيقية أن اختلاف القراءات قد يظهر في مستويات لغوية متعددة، مثل المستوى الصوتي أو الصرفي أو النحوي، وأن هذا الاختلاف قد يؤدي في بعض المواضع إلى إبراز جوانب دلالية مختلفة للنص.

كما تبين من خلال التحليل أن اختلاف القراءات لا يؤدي إلى تعارض في المعنى، بل يسهم في توسيع الدلالة وإغناء النص القرآني، حيث تكشف كل قراءة عن جانب معين من المعنى. ومن هنا فإن القراءات القرآنية يمكن أن تؤدي في بعض المواضع دورًا قريبًا من دور التفسير، لأنها تساعد على إظهار الأبعاد المختلفة للمعنى القرآني.

وتؤكد هذه النتائج أن دراسة المتغير اللغوي في القراءات القرآنية تمثل مجالًا مهمًا في الدراسات اللغوية والقرآنية، لأنها تسهم في الكشف عن العلاقة العميقة بين البنية اللغوية للنص القرآني والمعاني التي يحملها. كما تظهر هذه الدراسة أن التنوع اللغوي في القراءات يمثل أحد مظاهر القوة البيانية في القرآن الكريم، حيث يجمع النص الواحد بين الوحدة والتنوع في آن واحد.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

النتائج

توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج العلمية التي يمكن إجمالها في النقاط الآتية:

أولًا: أن المتغير اللغوي يمثل ظاهرة طبيعية في الأنظمة اللغوية، ويشير إلى تعدد الصور التعبيرية الممكنة داخل اللغة الواحدة دون أن يؤدي ذلك إلى اضطراب النظام اللغوي.

ثانيًا: أن التغير الدلالي يرتبط ارتباطًا وثيقًا بالبنية اللغوية للنص، حيث قد يؤدي التغير في الحركة أو الصيغة أو التركيب إلى إبراز أبعاد دلالية مختلفة داخل السياق اللغوي.

ثالثًا: أن القراءات القرآنية تمثل أحد أبرز مظاهر التنوع اللغوي في العربية، لأنها تعكس تعدد وجوه الأداء اللغوي للنص القرآني ضمن إطار منضبط يعتمد على النقل المتواتر عن النبي ﷺ.

رابعًا: أن اختلاف القراءات لا يؤدي إلى تعارض في المعنى، بل يسهم في توسيع الدلالة وإبراز جوانب متعددة من المعنى القرآني.

خامسًا: أن المتغيرات اللغوية في القراءات القرآنية قد تظهر في مستويات مختلفة، مثل المستوى الصوتي والصرفي والنحوي، وأن لكل مستوى من هذه المستويات أثره في توجيه المعنى.

سادسًا: أن دراسة القراءات القرآنية تسهم في الكشف عن ثراء اللغة العربية وتنوعها في الاستعمال، كما تساعد على فهم العلاقة بين اللغة والدلالة في النص القرآني.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

التوصيات:

في ضوء النتائج التي توصلت إليها الدراسة يمكن تقديم عدد من التوصيات التي قد تسهم في تطوير الدراسات المتعلقة بعلم القراءات والعلاقة بين اللغة والدلالة في القرآن الكريم.

من أهم هذه التوصيات ضرورة توجيه مزيد من الدراسات اللغوية إلى تحليل القراءات القرآنية من منظور دلالي وبياني، لأن هذا الجانب ما يزال بحاجة إلى مزيد من البحث والتحليل. كما يوصى بالاهتمام بدراسة العلاقة بين القراءات القرآنية واللهجات العربية القديمة، لأن هذه العلاقة قد تسهم في فهم كثير من الظواهر اللغوية في العربية.

كما يمكن أن تسهم الدراسات المقارنة بين القراءات المختلفة في إبراز الأبعاد الدلالية للنص القرآني، وهو ما يساعد على تعميق فهم الخطاب القرآني وإظهار ثرائه اللغوي والبياني.

ISSN: 2392- 5418 e-ISSN: 2520- 7423 DOI:10.59799/SQZH5356

المراجع العربية :

- ابن الجزري، محمد بن محمد. (1999). النشر في القراءات العشر. بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن جني، عثمان بن جني. (1999). الخصائص. القاهرة: دار الكتب المصرية.
- أبو شامة، عبد الرحمن بن إسماعيل. (2003). المرشد الوجيز في علوم تتعلق بالكتاب العزيز. بيروت: دار المعرفة.
- الزركشي، بدر الدين محمد بن عبد الله. (2006). البرهان في علوم القرآن. بيروت: دار المعرفة.
- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن. (2008). الإتقان في علوم القرآن. بيروت: دار الفكر.
- مكي بن أبي طالب القيسي، مكي بن أبي طالب. (2005). الكشف عن وجوه القراءات السبع وعللها وحججها. بيروت: دار الكتب العلمية.
- صبحي الصالح، صبحي بن إبراهيم. (2000). مباحث في علوم القرآن. بيروت: دار العلم للملايين.
- وافي، عبد الواحد. (2004). علم اللغة. القاهرة: نهضة مصر.

المراجع الأجنبية :

- Labov, William. (1972). Sociolinguistic Patterns. Philadelphia: University of Pennsylvania Press.
- Crystal, David. (2008). A Dictionary of Linguistics and Phonetics. Oxford: Blackwell Publishing.